

دور التفسير والتدبر  
في حفظ القرآن الكريم

إعداد

نجلاء رائق النابلسي

## المبحث الأول

### أهمية حفظ القرآن الكريم في كسب المهارات اللغوية والعقلية وأثره في فهم القرآن الكريم

**المطلب الأول: أهمية حفظ القرآن الكريم في كسب المهارات اللغوية والعقلية:**

أعظم نعمة للبشرية عامة ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة هي نعمة القرآن الكريم، ولأنَّ القرآن دستور للحياة ونور للظلمات تكفل الله عز وجل بحفظه فقال سبحانه: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، (سورة الحجر آية 9).

ما معنى حفظ القرآن الكريم؟ وكيف يكون ذلك الحفظ؟

حفظ القرآن الكريم أي حمايته من الضياع والتلف والزيادة والنقصان والتحريف، ويكون ذلك بحفظه في الصدور وفي السطور.

وكون الله تعالى حافظاً له يشعرنا بالثقة والأمان، فلو جاء متناول على هذا الدين وقال لو كانت آية كذا هنا أو آية كذا هناك أو قال أن آياته متكررة فنقول له بثبات ويقين إنه كلام الله تعالى له صفة الكمال والدوام؛ لأنَّ الكلام تابع لصاحبه، وبأن الله عز وجل حفظه بشهادة النص كثيراً بفضل الله وحمده من يحفظ القرآن الكريم ويجريه على لسانه سرداً ، ولكن الأقل من يحفظه ويعيه ويعرف معانيه، فقول الله تعالى: "لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون"، (سورة الأعراف آية 179).

إن الآية الكريمة دليل واضح على ضرورة الوعي والفهم باستخدام حواس مختلفة كالنظر للقراءة والأذن للاستماع والقلب والعقل للفقه والفهم، ومن يتجرد من هذه المدركات يكون غافلاً كالأنعام.

فالرقي لا يكون بقدر ما يملك المرء من أشياء فخمة، ولكن بما يسمع ويبصر ويقراً ويعي ولا شيء أفضل من القرآن يقراه ويرتقي به بالدنيا وفي الآخرة، ولكل واحد منهما نصيب من الأجر إن شاء الله (الحافظ والفاهم).

ومن إحدى بركات الحفظ إكساب الحافظ العديد من المهارات اللغوية كمهارة الاستماع والحديث والقراءة والكتابة، وهو ما سأبينه من خلال النقاط الآتية:

## 1. المهارة اللغوية:

المهارة في اللغة مصدر مهر يقال مهر الشيء ومهر به مهراً ومهوراً ومهارةً : إذا أحكم الشيء، والماهر الحاذق بكل عمل<sup>1</sup>.

أما المهارة في الاصطلاح فقد ذكر لها تعريفات كثيرة منها: إنها الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والجهد المبذول<sup>2</sup>.

وقيل المهارة: سلوك يتصف بالتركرر ويتكون من سلسلة من الأعمال التي يتم أداؤها بطريقة ثابتة نسبياً<sup>3</sup>.

من خلال هذه التعريفات يمكن أن نحدد معنى المهارة اللغوية بأنها: أداء لغوي يتميز بالسرعة، والدقة، والكفاءة والفهم ومراعاة القواعد اللغوية المنطوقة والمكتوبة.

وهناك طرق لاكتساب المهارات اللغوية منها:

1. الممارسة والتكرار وقد جعله ابن خلدون شرطاً لاكتساب الملكة حيث يقول: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأنَّ الفعل يقع أولاً ويعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنه صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"<sup>4</sup>.

2. الفهم وإدراك العلاقات والنتائج فالممارسة بدون الفهم تجعل المهارة آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها<sup>5</sup>.

3. مما يعين على اكتساب المهارة أن يشاهد المتعلمون ويلاحظوا من يتقن المهارة من معلمهم أو زملائهم، لأن للقدوة الحسنة أثراً كبيراً في المحاكاة والتقليد<sup>6</sup>.

وإذا ما نظرنا إلى هذه الأسس وتأملناها جيداً نلاحظ أنها تشترك في جملتها مع الأسس التي يقوم عليها حفظ القرآن الكريم.

<sup>1</sup> السيد، محمود احمد: اللغة تدريساً واكتساباً. ص 83.

<sup>2</sup> ينظر الأزهرى: تهذيب اللغة 298/6. الفيروز، ابادي القاموس المحيط 2 / 137. المعجم الوسيط 889/2

<sup>3</sup> أبو علام، رجاء محمد: علم النفس التربوي، ص240.

<sup>4</sup> مقدمة ابن خلدون ص632.

<sup>5</sup> السيد، محمود احمد: اللغة تدريساً واكتساباً. ص84.

<sup>6</sup> ينظر السيد، محمود احمد: اللغة تدريساً واكتساباً. ص84.

ولهذا يمكن القول: إنَّ من يحفظ القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين وفق أسسه فإنه سيكتسب مهارات لغوية متعددة، لوجود القدر المشترك بين أسس اكتساب المهارات اللغوية وأسس حفظ القرآن الكريم، و من أسس حفظ القرآن الكريم المداومة على التلاوة والترتيل والاسترسال أثناء القراءة والفهم الصحيح للآيات المحفوظة وربما يلزم كتابة الآيات كتابة يدوية وهذا كله ينمي الملكات اللسانية.

والقرآن الكريم نص مقروء يوجب على حافظه كثرة قراءته، والباحثون يقولون عن القراءة أنها أم المهارات؛ لأن النص المقروء يتضمن مهارة النطق أو التحدث ويتضمن مهارة الكتابة والاستماع أيضا في القراءة الجهرية، كما يتضمن هذا النص المقروء بقية المهارات الفرعية من الفهم والتمييز بين الحقائق والآراء وإدراك الكليات، وتحديد الجزئيات، وتزوق المسموع ويتضمن مهارات التحدث وسلامة المنطق وإلقاء خطبة أو قصيدة أو حوار.

ولعل من أسباب ذلك كله اعتماد القراءة على نص مكتوب، يمكن تداوله وإعادة قراءته مرة ومرات ويمكن تطبيق الأنواع المختلفة من القراءة عليه ويمكن إجراء معظم التدريبات اللغوية على هذا النص بطريقة تعزز بقية المهارات وتؤدي إلى إتقانها جميعا.

### ثانيا: مهارة الاستماع وحسن الفهم:

يعد حسن الاستماع مهارة لغوية ذات قيمة عالية لأنها الوسيلة الأولى لتعلم اللغة، فالإنسان بطبيعته يسمع أكثر مما يتكلم، وكلما أحسن المرء الاستماع تحقق له فهم المسموع وتحليله ونقده والتفاعل معه بصورة عالية.

فالاستماع يتطلب استخدام حاسة البصر والسمع والعقل في متابعة المتكلم وفهم معنى ما يتكلم به وتحديد الأفكار واسترجاعها وإجراء عملية ربط بين الأفكار المتعددة، ولعظم شأن الاستماع والإنصات وقوة تأثيرهما فقد أمر الله سبحانه المؤمنين بهما حين تلاوة القرآن وجعل ذلك سببا للرحمة قال عز وجل: "وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون: الأعراف، آية 204.

وقد استجاب نفر من الجن لهذا التوجيه فطبقوا مهارة الاستماع وأضافوا لها فن تذوق النص ما قادهم إلى الإيمان العميق به وقد شهد الله تعالى لهم بحسن الإيمان، وهذا يعني أن حسن المقدمات يقود إلى صواب النتائج (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قراناً عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا) الجن، آية 1.

وفي هذا دلالة أو لفظة لطيفة أنه إذا حسن الكلام المسموع وحسن الاستماع إليه انتفع المستمع من ذلك الكلام انتفاعاً بالغاً.

وأما مهارة فهم مضمون الحديث، فقد ساعد القرآن الكريم على تنمية هذا المستوى المعرفي الإدراكي لأن من خصائص القرآن الكريم الجمع بين الإجمال والبيان، فالقارئ يجد في آيات القرآن الوضوح والظهور ما يؤولها درجة القمة في البيان فالمعنى يسبق إلى الذهن ومضمون الآيات يتضح له وربما لا يدرك معاني بعض الألفاظ لكنها أسرار البلاغة والبيان التي أودعت في القرآن<sup>1</sup>.

أما مهارة استنتاج معاني الكلمات من السياق تتعلق بمستوى الفهم الذي يعني القدرة على إدراك المادة المسموعة، وقد أثبتت دراسة الأستاذة فائزة أن حفظ القرآن الكريم ساعد على نتيجة هذه المهارة لما يختص به القرآن الكريم من الإعجاز البلاغي في تصوير المعاني<sup>2</sup>.

أما مهارة تذوق الكلام الجميل فهي ثمرة حفظ القرآن الكريم فمن يكثر من تلاوته لا ريب أنه سيتأثر بجمال أسلوبه البلاغي والبياني والنفسي وهذا لا يكون لغير القرآن، وليس المقصود يتذوق بلاغة الأسلوب القرآني معرفة ما فيه من تشبيهات بليغة واستعارات ومجازات وكنائيات، وإنما المقصود التأثير وإدراك الفروق بين أسلوبه البليغ الفصيح وأسلوب آخر لا يتوافر له ذلك.

فالرجل العامي لا يعرف كناية ولا مجازاً ولا استعارة بالمعنى الاصطلاحي ولكنه يتذوق ويتأثر وينفعل بانفعالات الرضى والسرور والحزن والخوف والرجاء والأمل وما إلى ذلك من أحاسيس ومشاعر<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: معلم، فائزة جميل محمد: اثر حفظ القرآن في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي بمكة المكرمة

<sup>2</sup> ينظر، فائزة جميل محمد: اثر حفظ القرآن في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي بمكة المكرمة. ص 281

<sup>3</sup> الشافعي، ابراهيم: التربية الاسلامية وطرق تدريسها، ص 140

### ثالثاً: مهارات التحدث:

"هي مهارة نقل المعتقدات أو الأحاسيس والاتجاهات والمعاني والأفكار والأحداث في طلاقة وانسياب مع صحة التعبير وسلامة في الأداء"<sup>1</sup>.

من الناس من يختار أفضل الألفاظ للتعبير عن أجمل المعاني وذلك يدل على سعة تفكيره ونضج عقله، ومنهم من يكون سقيم الفكر، عقيم الذوق، فيخفق في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني.

ومن نافلة القول إن من يحفظ القرآن الكريم يتأثر بأسلوبه وبيانه وتستقر في نفسه عظمة القرآن، ومن تأثر به يصبح مؤثراً بالناس إذا حدثهم فيختار أفضل المعاني وينتقي أجمل الألفاظ ويمتلك المقدرة على إثارة السامعين وشد انتباههم، كما تزيد مهارة التحدث ومهارة الإتقان الصوتي لديه، فنلاحظ سلامة مخارج الحروف وجمال نطقها وأحسن الناس إتقاناً لمهارة التحدث هم الذين يتلقون القرآن عن أهله ويحفظونه وفق أحكام تجويده.

### رابعاً: مهارة القراءة

القراءة ليست مجرد ترف فكري يمارسه أحداً لقضاء الوقت أو المتعة بل إنها مهارة تكسب صاحبها فنون التدقيق، وحسن الاختيار، والمقارنة، ولا نضيف جديداً إذا قلنا بأن قراءة القرآن الكريم وحفظه هي المصدر الأهم لاكتساب هذه المهارة .

هناك أطروحة ماجستير للباحثة فائزة جميل معلم بعنوان "اثر حفظ القرآن الكريم على تنمية مهارات الاستقبال اللغوي" حيث أثبتت ان كثيراً من مهارات القراءة تنمو بحفظ القرآن وكثرة تلاوته ومن نتائج دراستها والمهارات التي يمتلكها الحافظ ما يلي:

1- القراءة بثقة من دون خوف وتردد.

وهذه الخاصية بالطبع لا تأتي من فراغ بل تدعمها القراءة المتكررة للآيات القرآنية عند عملية الحفظ فلا يشعر القارئ بالخوف والتردد.

<sup>1</sup> ينظر الشنطي، محمد صالح: المهارات اللغوية. ص 194

2- القراءة بصوت واضح مسموع، وبالطبع من آداب تلاوة القرآن تحسين الصوت وتدريب القارئ على القراءة بصوت واضح ومسموع.

3- إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة .

إن من مطالب تلاوة القرآن وحفظه تطبيق آداب الترتيل وأحكام التجويد، ولا شك أن هذا يعطي مهارة الإتقان الصوتي وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة.

### المطلب الثاني: أثر الحفظ في فهم القرآن الكريم:

يخطر في ذهن سؤال: هل الحفظ يؤثر على الفهم؟ وهل الفهم يؤثر على الحفظ؟ وما العلاقة بينهما؟

في الحقيقة وبعد استقراء للموضوع تبين للباحث أن تكرار تردد الآيات للحفظ يفتح آفاق كبيرة وجديدة للمعرفة، حيث تتجلى للقارئ معاني جديدة لم تكن جلية من قبل ففي كل مرة يتذوق معنى جديد.

"يعد حفظ القرآن الكريم من أهم الوسائل المعينة على تدبر وتأمل مقاصد الآيات، وفرصة للتفكير فيها، وفرصة للتفكير فيها، وهذا من شأنه أن يحصل المسلم فهما أوسع في الدين، وحرصا أكبر على الامتثال للأوامر، وهمة أعلى في اجتناب النواهي"<sup>1</sup>.

أما الفهم فله أكبر الأثر على الحفظ فمن البديهي أن الشخص إذا فهم وتدبر وعقل المعنى فيصبح الحفظ أكثر سهولة وسرعة، فنلاحظ الأمر عند حفظ السور التي تحتوي على قصص، أو التي لها أسباب نزول، وكذلك الآيات التي فيها أحكام فقهية، فسرعة الحفظ وإتقانه تكون أكبر بكثير من غيرها.

وإنَّ الفاهمَ لنصوص القرآن الكريم، والمتدبِّرَ في معانيه؛ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ مَقاصِدِ الآيات ما يَعمَلُ على إصلاح نفسه وتركيتها، وتقويم سلوكِ ذاته، وتصحيح ما اعوجَّ منها؛ ذلكَ أَنَّهُ مطالبٌ بالتزام ما فهِمَ، وتطبيق ما عَقَلَ، بالإضافة إلى التأدبِ بما ظهَرَ لَهُ من الآداب، والتهدُّبِ بما لَاحَ لَهُ مِنَ الأخلاق.

<sup>1</sup> المنجد، محمد: لماذا نحفظ القرآن الكريم؟ [www.alukah.net](http://www.alukah.net) اطلع عليه بتاريخ 18-7-2018 بتصريف

فصحة الفهم تورث صاحبها سلامة المعتقد والفكر، فيبني عقيدته وأفكاره على ما وافق وحي السماء، دون أن يتشرب عقله وقلبه الانحرافات والتأويلات والتشكيكات والتمويهات التي يبثها ذوو الفهم العقيم.

وصحة الفهم تُهدي صاحبها صدق العبادة والمسارة إلى مرضاة الله تعالى، والبعد عن معصيته.

وبصحة الفهم يحسن التعامل مع الخلق، وبذل الأخلاق الطيبة بينهم.

وفي صحة الفهم يتخذ المرء الموقف المناسب مع الأولياء والأعداء الذي دعا إليه الوحي، فالولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، والتواضع مع أهل الإيمان، والعزة مع أهل الكفران.

وصحة الفهم تجعل صاحبها عادلاً في أحكامه على الناس فلا يحيد عن الحق في شعوره من حب أو بغض، ولا في أقواله من مدح أو ذم، بل يضع شعوره وأقواله وأوصافه في مواضعها اللائقة بها.

إن زيادة الإيمان تعني تحريك القلب، وانفعال المشاعر مع القراءة، وأن يظهر أثره في حال القارئ وأفعاله.

فلا بد أن يكون هدفنا الذي نسعى إليه من خلال اتصالنا المتكرر مع القرآن هو التأثير به، و بدهي أن التأثير لن يتم إلا إذا كان هناك فهم وتدبر؛ إذا ينبغي أن يكون شعارنا عند كل تلاوة للقرآن، أن نفهم ما نقرأ ونجتهد في التأثير به، يقول ابن مسعود- رضي الله عنه -: (لا تهذّوا القرآن هذّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة) .

معنى الهدّ: سرعة القراءة بغير تأمل، تهذّ القرآن هذّا: أي تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر. وقوله نثر الدقل: ( الدقل ) رديء التمر و يابس؛ أي كما يتساقط الرطب الرديء اليابس من العذق إذا هُرّ<sup>1</sup>.

نرى أن الحفظ والفهم عمليتان متكاملتان يدعم كل منهما الآخر لهذا من اللائق أن نحافظ عليهما ونشدهما معاً حتى تفيض بهما الخيرات، فيحى هذا الدين ويظهر بصورته الحقيقية المشرفة.

<sup>1</sup> لسان العرب باب الهاء .

## المبحث الثاني: دور التفسير والتدبر في تقوية الحفظ وتثبيتته من خلال الكشف عن المقاصد والمناسبات ومتشابه القرآن

المطلب الأول: دور المقاصد والمناسبات في تدبر وحفظ القرآن الكريم:

المقاصد هي: "المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعيّة والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية، أم مصالح كليّة، أم سمات إجماليّة، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، وهو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"<sup>1</sup>.

مقاصد الشريعة: مقاصد الشريعة نوعان مقاصد عامة وأخرى خاصة:

- المقاصد العامة: هي التي تلاحظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى<sup>2</sup>؛ مثل: الفطرة، والتيسير، والشمول، والواقعية، وغيرها.
- والمقاصد الخاصة: هي التي تتعلق بباب معين أو أبواب معينة، وقد ذكر ابن عاشور أن هذه المقاصد هي: "مقاصد خاصة بالعائلة، مقاصد خاصة بالتصرفات المالية، مقاصد خاصة بالمعاملات، مقاصد خاصة بالقضاء والشهادة، مقاصد خاصة بالتبرعات، مقاصد خاصة بالعقوبات"<sup>3</sup>.

ومن المعاصرين الذين تحدثوا عن المقاصد العامة والخاصة، ابن عاشور، حيث كان رأيه أن الإنسان العادي المكلف البسيط لا يحتاج إلى المعرفة بعلم مقاصد الشريعة؛ حيث يقول في باب "احتياج الفقيه إلى معرفة مقاصد الشريعة: "إن تصرّف المجتهدين بفقههم في الشريعة يقع على خمسة أنحاء"، (ثم ذكر الأنحاء الخمسة، وأكد أن المجتهد بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة في هذه الأنحاء كلها....، وليس كل مكلف بحاجة إلى معرفة مقاصد الشريعة؛ لأن معرفة مقاصد الشريعة نوع دقيق من أنواع العلم، فحق العامي أن يتلقّى الشريعة بدون معرفة المقصد؛ لأنه لا يحسن ضبطه ولا تنزيله..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الخادمي، نور الدين: الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، 1/ 52 - 53

<sup>2</sup> ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ص: 51

<sup>3</sup> المرجع السابق. ص: 155

<sup>4</sup> ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ج3، ص: 40-51، يتصرف

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

[النساء: 82]

إذا أمعنا النظر في النصوص أدركنا أن تلاوة القرآن تحقق مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية فالمقاصد تجلب المنافع وأي منفعة أعظم من تلاوة القرآن الكريم؟

### تحقيق مقاصد تلاوة القرآن الكريم:

ذكر الإمام الغزالي في الباب الثالث في الأعمال الباطنة عند التلاوة عشرة آداب، وهي: فهم أصل الكلام، ثم التعظيم، ثم حضور القلب، ثم التدبر ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، ثم التخصص، ثم التأثر، ثم الترقى، ثم التبري، وذكر لكل أدب تفصيلاً، نذكر منها اختصاراً للموضوع، فنورد في هذا كلام الإمام الغزالي تحقيقاً لمناط تلاوة القرآن الكريم.

### مقاصد تلاوة القرآن:

وإذا كان للنظر المقاصدي والفهم المقاصدي للإسلام مقومات ينبغي توافرها فيمن يتعرض للقرآن مقاصدياً، فما مقاصد هذا النوع من التعامل مع القرآن؟ وما غايات أعمال التفسير المقاصدي للقرآن العظيم؟

### أولاً: امتثالاً لأمر الله تعالى:

إن أول مقصد من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم وسوره هو الامتثال لأمر الله تعالى بالتدبر، وقد نقلنا سلفاً قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، وقوله جل شأنه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24].

يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الأخيرة: "وتدبر القرآن يزيل الغشاوة ويفتح النوافذ، ويسكب النور ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح، تنبض بها وتشرق وتستنير، ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾؛ فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور!"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> قطب، سيد: في ظلال القرآن (6/ 3297)؛ دار الشروق، القاهرة.

## الفهم المقاصدي:

من مقاصد التفسير المقاصدي للقرآن أو النَّظَرُ المقاصديّ فيه: ترجيحُ الأقوال استنادًا إلى المقاصد القرآنية أو مقاصد الشريعة نفسها، وقد يكون الترجيحُ بناءً على مقاصد كلية للقرآن الكريم، أو مقاصد خاصة أو جزئية، ولا يكون هذا الترجيح إلا مع منهج التفسير المقارن.

ففي قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: 27]، تحدّث المفسرون: هل المقصود بمن يستأذن البصير والأعمى؟ وما عدد مرات الاستئذان؟ هل هي ثلاث أم أقل أم أكثر؟

والمقصد من الاستئذان في قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ [النور: 29]، هو كَوْنُ البيوت مسكونة؛ إذ لا يأمن من يدخل عليها بغير استئذان أن يرى عورات الناس وما لا يحلُّ النظر إليه، أو ما لا يرغب أهل البيوت أن يراه الزائر.

وأما عن عدد مرات الاستئذان، فقال: "وظاهر الآية أنّ الاستئذانَ غيرُ مقيدٍ بعدد؛ فإن استأذن مرةً فأجيب بالإذن دَخَلَ، وإن أُجيب بالردِّ رَجَعَ، وإن لم يُجَبْ فلا عليه أن يرجع، وقال بعض العلماء: إنّ الاستئذانَ ثلاثُ مرات، فمن لم يؤذن له بعدهن فليرجع، إلّا إذا أيقن أنّ من في البيت لم يسمع؛ فإنه يجوز له الزيادة على الثلاث، والحكمة في هذا العدد أنّ المرة الأولى لإسماع من في البيت، والثانية: ليتهيئوا، والثالثة: ليأذنوا، أو يردّوا"<sup>1</sup>.

النَّظَرُ المقاصدي في القرآن الكريم هو عماد القول، وأساس الترجيح، سواء في طبيعة الأدب الذي هو الحكم، أو في عدد أفرادهم وطبيعتهم رجالاً ونساءً، أو في عدد مرّات الاستئذان، أو كان المستأذن بصيراً أو أعمى؛ كل هذا ترجح القول فيه بل حُسيم استنادًا إلى المقاصد، وهو منهج يُستخدَم في مناهج التفسير جميعاً.

<sup>1</sup> تفسير آيات الأحكام (3/ 154).

## فهم السورة وتيسير حفظها:

بما أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، فلا بد لفهمه من توفر عناصر اللغة وحضورها بقوة لدى القارئ والحافظ والمتدبر، ويحضرني في هذا المقام رأي الإمام الشافعي في المقاصد حيث قال: أن علم النحو أو علم اللغة العربية، لم يكن كافياً لفهم النصوص الشرعية ومقاصدها؛ بل هناك فرق كبير بين شكل الخطاب العربي، وبين مقاصده؛ فالنحو ما يضبط في العربية شكل الكلام؛ هل ترفع أو تنصب أو تجر؟ فمعروف أن النحو لا يهتم بالمعاني أصلاً، فلو قلت: "أكل الحجر ولدًا"، لصحّت من الناحية النحوية؛ ولكن من حيث المعنى لا تصحّ، فالنحو اهتم بالشكل، والبلاغة اهتمت بالجمال اللغوي، من التشبيه، والإيجاز، والاستعارة، والطباق، والجناس، ونحوها، إذًا بقي جانب آخر يتعلّق بمقاصد الخطاب لم يُضبط بعد<sup>1</sup>.

معرفة المقاصد تقود إلى فهم الآيات وهذا الفهم طريقاً إلى الحفظ لمن اراد حفظ كتاب الله.

فمن ثمار التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم فهم السورة واستيعابها وتيسير حفظها، فمن تأمل في محور السورة ومواضيعها، يجدها كالعقد يحوي من الجواهر ما يجعله براقاً مشوقاً مليء بشغف الوصول إلى تلك الجواهر الدفينة فلن يعجزه معنى، ولن يخفى عليه سر من الأسرار الكمينية، فيخرجها ليستفيد ويفيد من حوله بمنظار دعوي يعم منه الخير والفائدة بإذن الله.

### المطلب الثاني: دور المناسبات والمتشابهات في فهم القرآن الكريم:

المناسبة: هي في اللغة المقاربة والمشاكلة. يقال: فلان يناسب فلاناً، أي يقاربه ويشاكله. ومنه النسب الذي هو القريب المتصل بغيره، كالأخ وابن العم.

اصطلاحاً: هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن<sup>2</sup>.

أن المناسبة في أحيان كثيرة تكون مفتاح معرفة حكم القرآن ودرره. والدليل على ذلك قول الإمام الرازي: "إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"<sup>3</sup>.

وقد أكد البقاعي أنّ المقصود بالترتيب معان جلييلة الوصف، بديعة الرصف، عظيمة

القدر<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> البيهقي: مناقب الشافعي، 44/2. بتصرف

<sup>2</sup> نظم الدرر للبقاعي 6/1

<sup>3</sup> الرازي: التفسير الكبير، ج 4، ص 110.

وقال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه<sup>2</sup>.

إن التناسب في القرآن الكريم على أنواع؛ فهناك التناسب بين السورة واسمها، وهناك التناسب بين بداية السورة ونهايتها، وهناك التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وختام السورة وبداية السورة التي تليها، وهناك التناسب بين السورة والسورة التي تليها .

وكما نعلم فإن ترتيب السور توقيفي، ولهذا الترتيب دلالة في الفهم، فارتباط نهاية السورة مثلا ببدايتها لا يكون هكذا بدون فائدة لو حللنا الآيات لوجدنا أن بينهما رابط عجيب وهذا الأمر له أهمية كبيرة في الفهم والتحليل ومن ثم في الحفظ بل هو يعين على الحفظ كثيراً.

كما أن الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه، يستدعي الإهتمام باستخراج المعاني والحكم ولطائف الفوائد، التي لا يتوصل إليها إلا بالتماس المناسبة بينها، ومعرفة وجوه الربط بين أنواع المناسبات فمنها ما يُعرف بأدنى تأمل، وذلك من خلال إدراك الارتباط الظاهر بين أنواعها المختلفة؛ ومن المناسبات ما لا يُعرف إلا بعد طول تأمل، وإعمال نظر، وهذا لا يتيسر إلا لمن أعمل الفكر، وأطال النظر في سور القرآن الكريم وآياته .

وإعمال النظر هو: أنك تتظر الغرض الذي سيقته له السورة، وتتظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتتظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتتظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها.

فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، في كل سورة سورة.

<sup>1</sup> البقاعي: نظم الدرر، ج 1، ص 8.

<sup>2</sup> الفراهي، عبد الحميد: دلائل النظام، ص 38.

## أما دور المتشابه في تدبر القرآن الكريم فأبينه من خلال الآتي:

المتشابهات من أسرار الإعجاز، حيث تدور في فلك الإعجاز البياني، لذلك هي في مقدمة العلوم التي تخدم المقبلين على تعلم القرآن الكريم خاصة وعلوم الشرع عامة، فهي الكاشف أن كلمات القرآن الكريم مهما تشابهت تحمل معاني جديدة فهي معجزة في تناسقها وترتيبها واختيار مواضعها وتفصيلها التفصيل المناسب.

رحم الله ابن عطية حين قال: "وكتاب الله لو نزعته منه لفظة، ثم ادير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"<sup>1</sup>

يقول الإمام الزركشي في البرهان: "وأما المتشابه، فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني كما قال - تعالى - في وصف ثمر الجنة: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة: 25]؛ أي: متفق المناظر مختلف الطعوم، ويقال للغامض متشابه؛ لأن جهة الشبه فيه كما تقول لحروف التهجي، والمتشابه مثل المشكل؛ لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله"<sup>2</sup>؛

تشابه الأمر عليه أي اختلط لانعدام التمايز بالنص القرآني.

فتشابهت الأمور أي اختلطت والتبست فلم تتميز ولم تظهر المعاني المقصودة إلا بعد البحث والنظر في سياق الآيات.

### ومن أمثلة المتشابه:

الآية: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾. (سورة النحل: 5) ثم ما جاء في سورة الزخرف (لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ) (الزخرف: 73)

أن قوله تعالى (منها تأكلون) التي وردت في سورة الزخرف هي في سياق الكلام عن الجنة وفيها الفاكهة هي للأكل فقط ولا يستفاد منها بشيء آخر.

ما في الآيات التي وردت فيه (ومنها تأكلون) هي في أنعام وفاكهة الدنيا. فالأنعام يستخدمها الإنسان إما للركوب أو التجارة أو الانتفاع بلبنها أو أكلها فالأكل جزء من منافع الأنعام في الدنيا.

<sup>1</sup> الغرناطي، ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 101/1، دار عمار في عمان، (1411هـ-1991) وهي نفس عبارة القرطبي في تفسيره: 105 / 1، بلا طبعة ولا تاريخ.

<sup>2</sup> البرهان في علوم القرآن: 2 - 69.

وبالنسبة للفواكه في الدنيا فقد تُؤكل أو يؤخذ عصيرها أو يصنع منها مربيات أو الخلّ أو غيرها فإنّ أكلها هو جزء من استفادة الناس بها في الدنيا.

ما جاء في سورة آل عمران: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126]، ثم ما جاء في سورة الأنفال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 10] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ [الأنفال: 10]، بدون ﴿ لَكُمْ ﴾ - ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم ﴾ بدلاً من ﴿ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾ - ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ بدلاً من ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾.

لم قدم الجار والمجرور في الأنفال وأخره في آل عمران؟! أي لم قال في الأنفال "وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم" وفي آل عمران "وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ" ؟

والآيتان موضوعهما واحد هو الإمداد الرباني لمقاتلي معركة بدر!!

#### آية الأنفال:

في التقديم للجار والمجرور فائدة (الاختصاص): أي لتطمئن قلوبكم بهذا الإمداد لا بغيره من عدد وعدة، ولقد كان أصاب المسلمين وجل من أول لقاء مع عدو يفوقهم عددا وعدة، فقد كانت رغبتهم أن يلاقوا غير ذات الشوكة وهي القافلة، فقدر لهم المولى ملاقة ذات الشوكة فوجلوا، فكان في هذا الاختصاص تعريض بهم لوجلهم، ويظهر أن آية الأنفال نزلت قبل حصول القتال؛ لذلك حصل وعد فيها بالإمداد بألف من الملائكة لتثبيت الواجدين فيصبروا.

#### وأما في آية آل عمران:

نزلت خلال القتال لذا قال "يُؤْمِنُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ" ففي الإخبار الآني بحصول الإمداد وفي زيادة العدد زيادة في التثبيت، فكان التركيز على طمأنة القلوب لتثبيت في قتالها فقدم القلوب وأخر الجار والمجرور.

نلاحظ أن السياق هو الذي يهديننا إلى المعنى المقصود والمتشابهات في القرآن كثيرة جداً، فهناك أكثر من ألفي آية فيها أحد أوجه التشابه!

فمثلا المتشابهات اللفظية لها الأثر البالغ في تفسير القرآن وفهم معانيه فهما دقيقاً سليماً وفقه أحكامه؛ إذ إن الخطوة الأولى في فهم معاني القرآن وتفسيرها يتوقف على تحديد دلالات

الألفاظ تحديداً دقيقاً، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة تقارباً شديداً، التي يظن كثير من الناس أنها تحمل معاني مطابقة ومتحدة اتحاداً كلياً تاماً.

ومما يزيد أهمية دراسة "المتشابهات اللفظية" ما يظهر من طغيان الألفاظ التي قيل بترادفها طغياناً كبيراً، حتى أصبح الحكم بالترادف منتشراً بين كثير من طلبة العلم الشرعي؛ وقد أضر ذلك المسلك بالعربية عامة وبفهم القرآن الكريم وتفسيره خاصةً، والعيش معه والشعور بأنه كتاب معجز حقاً، ولو أتعّب أصحاب هذا المذهب أنفسهم قليلاً وأعادوا النظرة تلو النظرة للاحظوا فروقاً دقيقةً بين الألفاظ التي اتهموها بالترادف .

فإهمال الفروق اللغوية في القرآن والغفلة عنها وعدم الاهتمام بها يعتبر مسلكاً خاطئاً وخطيراً جداً قد نبه الإمام الراجب الأصفهاني إلى ضرورة الاشتغال بالعلوم اللفظية اللغوية في القرآن الكريم فقال: "وذكرتُ أن أول ما يُحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يُدرك معانيه، كتحصيل اللبّين في كونه من أوّل المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه."

كما أن علم المتشابهات اللغوية -الذي هو من علوم القرآن- يدخل ضمن "علم الدلالة"؛ لأنه يبحث في العلاقات الدلالية التي تربط بين تلك الألفاظ المتشابهة، وتجعلها في حقل دلالي خاص يتقارب فيها المعنى العام، ويفترق في الدلالات الخاصة .

لذلك كله، ولأهمية علم المتشابهات، وحاجته إلى المزيد من البحث والدراسة والكشف عن الفروق اللغوية بين ألفاظه، ولأثر ذلك كله في تفسير القرآن الكريم وفهم معانيه فهماً دقيقاً؛ كان لزاماً على المشتغلين بعلم التفسير الاهتمام بالمتشابهات اللغوية في القرآن الكريم، والعمل على بيان الفروق الدقيقة بين ألفاظه.

من روعة المتشابه اللفظي انه يعين على تيسير حفظ القرآن الكريم وإتقانه، لذلك وصف العلماء مؤلفاته في المتشابه اللفظي لهذا الغرض تحديداً.

فمن أكبر فوائد المتشابه اللفظي أنه يعين على القراءة والحفظ فالقرآن فيه القصص، والتقديم والتأخير فيردد القارئ الأنباء والمواعظ ويكرر أخبار من سلف من الأنبياء والأقوام والأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على وقد يجيء حرف غير هذا الضرب،

فيأتي بالواو مره وبالفاء مره، وآخر يأتي بالإدغام تارة وبالبيان تارة، وأسماء متماثلة فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابهه القران ما إذا حفظ منع من الخلط"<sup>1</sup>.

وعليه فإنّ علم المتشابهات يقودنا إلى الكشف عن مكنون المعاني القرآنية الخفية، وهذا بدوره يهدينا إلى الفهم الصحيح والتدبر المرجو لكتاب الله مما يسهل الحفظ ويعين عليه إن شاء الله.

---

<sup>1</sup> متشابهه القران العظيم ص59

## خاتمة البحث

بعد هذه الجولة مع القرآن الكريم وحفظه وتدبره والمهارات المكتسبة التي يسمو بها الفرد نتيجة تدبره، وأهمية علم المقاصد والمناسبات والمتشابه في حفظ القرآن والنهوض بالفرد والمجتمع، وتحقيق تطبيق الأحكام القرآنية التي تنشر العدالة والخير والسعادة بين الناس، خلص البحث إلى النقاط التالية، التي يمكن اعتبارها أهم ما جاء فيه:

### أهم نتائج البحث:

- للحفظ والتدبر أهمية كبيرة في كسب المهارات اللغوية والعقلية.
- معرفة المقاصد الشرعية تقودنا إلى معرفة المعاني والأهداف.
- العلم بالمناسبات والمتشابهات له أكبر الأثر في تدبر القرآن الكريم والحفظ.
- نهوض الأمة والذب عنها أمام الأعداء إنما يكون بمعرفة هذا الدستور والتمكن من الآيات وفهم جواهر المعاني وعدم الاقتصار على الظاهر.

### التوصيات:

- إعداد كفاءات بشرية لحمل أعباء هذا الدين لبيان وتوضيح أهمية القرآن الكريم والكشف عن أسرارهِ، لدحض الشبهات وتأمين جيلاً مطمئناً واثقاً من دينه.
- التشجيع على حفظ القرآن الكريم وتدبر معانيه سواء بالالتحاق إلى مراكز تحفيظ أو عبر شبكات الكترونية موثوقة.
- الاهتمام بموضوع المقاصد والمناسبات والمتشابهات في عملية حفظ القرآن الكريم. وعدم الاكتفاء بمسألة الحفظ فحسب.
- التركيز على فئات الأطفال في الحفظ والتعلم، لما له الأثر الكبير في تقويم اللفظ واكتساب المهارات.